آليات الإقناع الحجاجي في الحديث النبوي الشريف

The Mechanisms of Argumentative Conviction in the Hadith of the Prophet

الباحثة: آمال بخضرة amel.bekhadra.etu@univ-mosta.dz

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

إشراف: د/ مليكة فريحي malika.frihi@univ-mosta.dz

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

تاريخ الاستلام: 2019/12/06 تاريخ القبول: 2020/01/06 تاريخ النشر: 2020/08/13

ملخص: يعد موضوع الحجاج، من الموضوعات، التي لقيت اهتماما واسعا في الدراسات البلاغية، وهذا لأهمية الخطاب الحجاجي، كونه أكثر الخطابات التصاقا بالمتلقي، وباعتباره خطابا ينشد الاستمالة والتأثير من جهة، والإقناع من جهة أخرى. لذلك اخترنـــا في هـــذه الدراسة، أن ننظر إلى البلاغة النبوية من زاوية جديدة تعنى بالحجاج، وهذا من خلال الظواهر البلاغية التي تمثل ميدانا مفضلا لدراســـة العلاقات القائمة بين البلاغة والحجاج حين وضعها المحللون، في نقطة تقاطع هذين الميدانين من خلال البلاغة الخطابية.

الكلمات المفتاحية:

حجاج –حجة –إقناع– آليات حجاجية بلاغية –آليات حجاجية لغوية –استعارة –سلم حجاجي –تمثيل –استدلال –نتيجة – بلاغة الصور– بلاغة الحجاج .

Abstract :

The subject of argumentations is one of the topics that have received a great interest in rhetorical studies, and this is because of the importance of the argumentative discourse, as it is the most relevant discourse to the recipient, and as a speech that seeks to gain influence on the one hand and persuasion on the other hand.

In this study, we have chosen to look at the prophetic rhetoric from a new perspective on argumentation. This is through the figures and images, which is a preferred field for studying the relations between rhetoric and argumentation when analysts put them at the crossroads of these two fields through rhetorical discourse.

Keywords: Argumentation – argument – persuasion – rhetorical mechanisms argumentative- linguistic mechanisms argumentative-metaphor- argumentative scale- analogy – inference – result – rhetoric of figures – rhetoric of argumentation.

المقدمة:

قرئت البلاغة النبوية، قراءات متعددة، وتناولها الدارسون قديما، وحديثا من زوايا بلاغية مختلفة. عنيت كل العناية بسحر بيانه صلى الله عليه وسلم، وجمال أسلوبه، ومعانيه التي جمعت بين العمق والجدة، والإحكام والانسجام، والغوص في أغوار النفس الإنسانية، وحسن التصوير والموسيقى والإجادة في الحوار، والأصالة في العبارة، والإيجاز في القول. مما دل على جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم. لكن لو تتبعنا هذه الجهود لوجدناها مسوقة بالدرجة الأولى للحديث عن الجانب الشكلي الجمالي لهذه البلاغة. دون البحث في جوهرها، فإذا كانت البلاغة في ابسط مفاهيمها تعني التوصيل والإفهام والإقناع، فنحن بحاجة إلى معرفة الوجه الأخر لبلاغة الحديث النبوي الشريف وهو الجانب الحجاجي الإقناعي. مادام أن الحجاج قد أضحى مبحثا أساسيا في كل عملية تواصلية، والحديث النبوي الشريف باعتباره خطابا تعليميا، موجها للأمة الإسلامية، يحمل قيما عقائدية وفكرية جاء ليتمم بها الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–مكارم الأخلاق، وليرسخ مبادئ العقيدة التي جاء بها القرآن، فان خطابه يضطلع بوظيفة إبلا غية إقناعيه تهدف إلى بناء التواصل وتمكين مقتضى القول في نفس وعقل المتلقي. لذلك نجد أن الصفة الحجاجية كانت تشكل جزءا من البلاغة النبوية، ليصبح البحث فهذه البلاغة، هو البحث في الآليات الحجاجية أيضا.

سنحاول في هذه الدراسة الموسومة بـــ " **آليات التأثير والإقناع في الحديث النبوي الشريف** " أن نسلط الضوء على علوم البلاغة، والتي تمثل وجها من وجوه الحجاج، إذ أنها قد تكون للتخييل، وقد تكون للحجاج أيضا. منطلقين من الإشكالية الآتية:

كيف ارتبطت البلاغة التي هي جوهر التخييل والإمتاع؟ بالحجاج الذي هو جوهر العقل والإقناع، وكيف تحقق الظواهر البلاغية الغاية الحجاجية في الحديث النبوي الشريف؟

1- وظيفة الحجاج الإقناع:

يرجع الأصل اللغوي لمصطلح الحجاج، إلى مادة (حجج)، والتي يمكن أن نشتق منها: الحجة، والتحاجج، والاحتجاج؛ إذ جاءت الحجة في المعاجم العربية بمعنى:" **الدليل والبرهان**"[1] قيل سميت حجة لأنها تحج، تقصد ومن ذلك أيضا قول الرازي: الحج في الأصل: القصد (...)، والحجة البرهان وحاجة، فحجه أي: غلبه بالحجة (...)، والتحاج: التخاصم، والمحجة جادة الطريق.[2]

فإذا كانت الحجة بمعنى الدليل، والبرهان، فإن الاحتجاج مأخوذة من الحجا، وهو **العقل**، حيث قال الجاحظ (ت 255ه) " **العقل** هو: **الحجة**"[3]، وقال قدامه بن جعفر(ت337ه): " إن **العقل، حجة** الله على خلقه، **والدليل** إلى معرفته" [4] فقوة الاحتجاج تدل على صفاء العقل، ونشاط الذهن"[5] وهو إيراد الحجج المثبتة لدعوى المتكلم، ومن هذا المنطلق يمكن أن نربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي للحجاج (**Argumentation**)، هذا المصطلح الذي ظهر مع نهاية عقد الخمسينات في القرن العشرين(1958)، حين تأسست البلاغة الجديدة **La nouvelle rhétorique**) مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان **Chaïm**) (**Perlman**، واللسانية البلجيكية لوسي أولبيخت تيتيكا (**Lucie Olbrechts- Tyteca**) حين أصدرا معا كتابهما الوجيز في الحجاج والبلاغة الجديدة [6] فبيرلمان عرف الحجاج، وذلك بالتركيز على وظيفته، والتي تتمثل في حمل المتلقي بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا **الإقناع**.[7]

فالحجاج هو كل منطوق موجه به إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق الاعتراض عليها،[8] والآلية الأبرز التي يستعمل فيها المرسل اللغة، وتتجسد عبرها استراتيجية **الإقناع**،[9] ليتبين لنا بأن الوظيفة الأولى للحجاج، إنما هي وظيفة إقناعية ، فهو أسلوب لمخاطبة العقل، والحواس والإدراك عن طريق الحجة، بعيدا عن المخاصمة، والمغالط والإغواء.[10] فالعملية الحجاجية، هي فاعلية خطابية، تختلف فيها طرق، وأساليب ودرجات الإقناع، وذلك باختلاف الحجة (**L'argument**) والتي تتوسل أدوات لغوية خاصة في إقناع السامع والحجج طريقة، يمكن من خلالها لشخص أو مجموعة من الأشخاص، أن يجعل المتلقي، يتخذ موقفا، وهذا لا يأتي إلا عن طريق حسن اختيار هذه الحجج التي تحمل في صميمها هدفا إقناعيا وذلك عن طريق حسن البناء والاستنتاج، وعلى هذا الأساس فإن الحجج ترتكز على ثلاث مواصفات حسب (**Pierre Reboul**) :

- ✓ الحجج تدل في إطارها مجموعة أفراد تنتج الحجج المتكلم، والمتلقي...
- ✓ ليست تمرينا مجردا من حيث المضمون، مثل سرد حدث ما، أو وصف شيء ما وإنما طريق من خلالها يهدف المتكلم أن يمارس نوعا من التأثير على الآخر
- ✓ الحجج تبنى على تبريرات و أدلة من أجل الدفاع عن رسالة ما، وللحجج علاقة مع القياس والمنطق.[11]

وعليه يجب على المتكلم أن يعتمد على الحجج التي تتناسب مع مقام المستمع لبلوغ الهدف في استمالة المتلقي، وإقناعه، والتأثير فيه، لذلك نجد الحجج تتنوع في الخطاب على

حسب Chaïm Pereleman)والذي قسمها إلى نوعين، نوع يقوم على الوصل، ونوع يقوم على الفصل كما هو موضح في الجدول: [12]

/	الوصل	/	الفصل
الحجج شبه منطقية	الحجج المؤسسة على بنية الواقع	الحجج المؤسسة لبنية الواقع	فصل المفاهيم
التناقض، وعدم التناسب الهوية، تحديد الدور التعددية، المقارنة، قاعدة العدل.	علاقات التناسب وعلاقات التواؤم	- المثل - النموذج - التمثيل - التوضيح - الاستعارة	/

ونظرا لطبيعة، الحجج، فإن الحجاج أيضا يتميز بالتنوع إذ نجد: [13]

1-الحجاج التوجيهي: وهو طريقة يوصل بها المحاجج أدلته إلى غيره وهو إقامة الدليل على الدعوى، بالبناء على الفعل التوجيه، الذي يختص به المستدل، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها، ولا بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها، ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عناية، قصوره وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة؛ غير أن قصر اهتمامه على هذه القصور،

والأفعال الذاتية يفضي به، إلى تناسي الجانب العقلاني من الاستدلال؛ هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه.

2–الحجاج التقويمي: وهو إقامة مخاطب وهمي للحوار معه، وهو إثبات الدعوى إلى قدرة المستدل على أن يجرد نفسه ذاتا ثانية يتزلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا على حدود ما يوجب عليه من ضوابط، وما يقتضي من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه، ويبين أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به مستبقا استفساراته، واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة، ومكتشفا إمكانيات تقبلها، وإقناع المخاطب به.

3–الحجاج التجريدي: وهو الإتيان بالدليل على الدعوى عن طريق أهل البرهان، علما بأن البرهان هو الاستدلال، والذي يعني ترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها واستعمالاتها.

وعليه فإننا نجد أن الحجاج يهتم أكثر بالمتلقي، وبالأساليب التي تسهم في إقناعه، وعناصر التأثير فيه، ومستويات الاستدلال وبناء الحجج في الخطاب.

2–جدلية العلاقة بين الإمتاع والإقناع في البلاغة:

إذا كان الإقناع يضم الحجاج والبرهان، وكل خطاب يتوجه نحو مخاطبة العقل بالحجة والدليل فان الإمتاع يشمل على كل ما يتصل بالفن والإبداع، وكل خطاب يتوجه نحو مخاطبة القلب والعاطفة فكيف يمكن أن تتداخل الغاية الفنية الإمتاعية، والغاية الإقناعية الحجاجية في البلاغة؟

لو أردنا معالجة هذا الالتباس والجدل بين جانبي الحجاج والتخييل، أو الشعرية والخطابية، هذا الاصطلاح الذي نجده متداول في الفكر الغربي (**Rhétorique de L'argumentation**) و(**Rhétorique de Figure**) وهما مصطلحان ارتبطا بالسياق التاريخي لإحياء البلاغة منذ أواسط القرن الماضي، وقد اتخذت عملية الإحياء هذه منحيين، منحى كرس ما انتهت إليه البلاغة قبل موتها، وانصب اهتمامه على الوجوه البلاغية، وعمل إعادة دراستها مستفيدا من الإنجازات التي حققتها اللسانيات، مما عرفته نظرية الأدب من تطور، ويمكن أن نصنف ضمن هذا الاتجاه أعمال رومان جاكسون (**Roman jackobcon**) ومجموعة مو(**Groupe u**) وجون كوهن (**jeun cohen**)[14] أما المنحى الثاني فقد انصب اهتمامه على إحياء الخطابة بمفهومها الأصلي اليوناني، أي باعتبارها دراسة لوسائل الإقناع، ويعد شايم بيرلمان رائد هذا الاتجاه حيث جمع بين جدل أرسطو وخطابته لبلورة نظرية في الحجاج سماها خطابة جديدة، وهذا الاتجاه هو المقصود لبلاغة الحجاج (La **Rhétorique de L'argumentation**) ليظهر فيما بعد اتجاه ثالث يحاول الجمع بين الاتجاهين بالبحث عن المنطقة المشتركة فيهما لبناء بلاغة عامة جديدة.[15] فمصطلح ريطوريك (**Rhétorique ; Rhetoric**)الذي يقابل مصطلح البلاغة العربية والتي تتردد بين ثلاث مفاهيم:

أولا: المفهوم الأرسطي: الذي يخصها لمجال الإقناع، وآلياته، فتشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة، المشاجرة، والمفاضلة)، وهي بهذا المفهوم تقابل (**Rhétorique ;Rhetoric**)، والتي تعني الخطاب المحاكي.[16]

ثانيا: المفهوم الأدبي: الذي يجعلها بحثا، في صور الأسلوب، وهذا المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش.

ثالثا: المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا.

وحديثنا عن جدلية العلاقة بين هذين القطبين، في البلاغة، يستدعي منا الحديث عن رأيين مختلفين، ومتباينين، رأي يقول، أنه من الضروري الفصل بين الشعرية، والخطابية، ورأي يرى بأنه توجد إمكانية الوصل بينهما، لقيام بلاغة عامة تربط الإقناع، والإمتاع معا.

2.ا الفصل بين الشعرية والخطابية:

يمكن أن نستحضر في هذا السياق رأي بول ريكو (**Ricœur Paul**) في بحثه المعنون "الخطابية والشعرية، والتأويلية (**Rhétorique ;Poétique ;Hermentique**) حيث دافع عن ضرورة الفصل بين هذين القطبين من كلمات مفاتيح وهي الإنتاج(**Poisis**) ، والحكي(Muthos)، والمحاكاة (**mimesis**)والحبكة (**inatrigue**)أما الخطابة، فنواتها الحجاج، ومن ناحية الهدف فإن الشعر يستهدف **التطهير**، في حين أن الخطابية تستهدف **الإقناع**، وكان تحليله هذا من منطلق البلاغة الأرسطية.[17]

2. ب الوصل بين الشعرية والخطابية:

حسب روبول (Reboul)، والذي يرى بأن الإقناع في الخطاب لا يأتي على مستوى واحد،وإنما هناك حجج تخاطب العقل، وأخرى تخاطب الوجدان، والغاية من الخطاب الاقناعي هي معرفة الوسائل، التي بواسطتها يكون الخطاب مقنعا وممتعا وصنف هذه الوسائل إلى : [18]

فالوسائل (الحجج) التي يستعملها الخطيب لإقناع متلقيه، إحداها ينتمي إلى الصنف العقلي، وكل ما يتعلق باستعمال اللغة، والتي تدرك عن طريق العقل، والثاني هو الانفعالي، ويتعلق بمراعاة مقام التلفظ، وعلى حسبه أن الصنف الانفعالي أو الوسائل (**ETHOS**) أي الطابع الذي ينبغي أن يتخذه الخطيب للفت انتباه المخاطب، ورفع ثقته ، ومن جهة أخرى (**PATOS**) أي ميول المخاطب ورغباته، والتي يمكن أن يأخذها الخطيب بعين الاعتبار[19] ؛ فالإقناع يأتي على مظهرين – في نظره- مظهر نسميه حجاجيا (**Argumentatif**) ومظهر نسميه أسلوبيا (**Oratoire**) ولا يمكن أن يكون إحداهما دون الآخر في البلاغة، فهي تتألف منهما معا[20] وذلك من خلال بحثه **La Figure et l'argument**))، والذي دافع من خلاله عن إمكانية وجود

منطقة تقاطعهما والتي سمها (**Région**) أي إقليم.[21] وهي النقطة التي التقت فيها البلاغة الغربية مع البلاغة العربية التي لم تطرح إشكالا في خصوص التقاء هذين القطبين كونها علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه التخييلي والتداولي.

4–البعد الحجاجي في البلاغة العربية:

البلاغة العربية من أهم العلوم قدرا، وارفعها منزلة، وشرفا. العلم الذي يمثل الإنسان العربي، بذوقه وفكره، من خلال النصوص العربية المتنوعة. الشعرية منها، والنثرية، التي أنتجها الإحساس المرهف، المتفنن في أساليب الكلام، والتداخل الوظيفي بين "التخييل" و" التداول" في البلاغة العربية أمر بديهي، يسري على السليقة العربية، وموضوع الحجاج من المواضيع التي تناولها المفسرون، والنقاد، والبلاغيون، وبحثوا فيها على استحياء، في أبواب عدة، وتحت تسميات مختلفة مثل:(الاستدلال، القياس، الاستدراج، والجدل)[22]لكن هذا البحث، كان في ظل نظرية " الفهم والإفهام " التي اولع بها الدارسون آنذاك ، غافلين ومتغافلين، عن الاستراتيجيات والتقنيات التي تتم بها عملية الفهم والإفهام. فانصبت جهود البلاغيين آنذاك، بوصفها سرا من أسرار جمال الخطاب لا بوصفها وسائل تأثير في المتلقي، وإقناعه. منبهرين بوجوه الصور التجريبية، وأنواع البديع القائمة في النص، وجعلوا الإخبار هو الغاية الأولى للخطاب، أما الإقناع الذي هو نتيجة الحجاج فقد جاء في مرتبة ثانوية. [23]

وهذا التغافل هو الذي أدى بالبلاغة الى التردي في مرحلة من مراحلها، في قضايا الصياغة وجماليات الأسلوب، حيث دخلت في سبات مؤقت، أفاقت منه، بعد التطورات التي عرفها الدرس البلاغي الحديث، انطلاقا من مباحث البلاغة الجديدة، التي أعطت صفة أخرى لهذا الموروث وهي الصفة الإقناعية والحجاجية.

وما يبرز البعد الحجاجي في البلاغة العربية، هو ما جاء في ثنايا تعريفها، والذي ارتبط بالعقل أيضا، لأن البلاغة من الصناعات التي يباشرها الصانع بأعضائه العقلية، والتي يستعمل فيها فكره فهو قول تضطر فيه العقول إلى فهمه[24] ، كل ما تبلغ به قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن [25]ولو تتبعنا البعد (الحجاجي) في البلاغة العربية لوجدناه واضحا في مشروع الجاحظ من خلال عنايته الخاصة التي أفردها لوظيفتي الإفهام والإقناع، والتي ارتكزت أيضا على عنصري المقام والمستمع حيث عرف البيان في قوله: " **البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، هتك الحجاب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على على محصوله كائنا من كان، ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية أن يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام**" [26] كما اعتبر المقام شرطا لازما لكل تواصل بياني :" ... والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ،وكذلك ليس يُتَضعُ بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحداث المنفعة، وهو موافقة الحال ما يجب لكل مقام من مقال"[27]

وبلاغة ابن وهب، شأنها في ذلك شأن بلاغة الجاحظ، اهتمت بالاتجاه الاقناعي ويمكن أن نلتمس ذلك حين اعتبر وجوه البيان تشف عن العملية العقلية؛ إذ أنه لم يفصل بين العقل والبيان، فهذا الأخير ناجم عن إعمال الإنسان للنظر العقلي في الأشياء، والأشياء دليل العقل، ولا بيان بدون دليل عقلي. [28]

أما بلاغة الحجاج والإقناع عند السكاكي(ت626ه)، فقد تبلورت في بلاغة **الاستدلال واللزوم** في البيان، فالتصوير البياني عنده، لا يقوم على مجرد التخييل أو يستند فقط إلى الاختراع؛ بل إن جوهره استدلالي مادام مرجعه " اعتبار الملازمات

بين المعاني"، وهكذا فالتصوير عملية استدلالية تقوم على الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى، أو من الدلالة الوضعية إلى الدلالة أخرى عقلية، الأولى دلالة مطابقة، والثانية دلالة مستلزمه، ليصبح البيان عند السكاكي ذو بعد حجاجي، يتعلق بتحصيل المطلوب، مما يعني خدمة مقصديه المتكلم ضمن سياق تخاطبي معين.[29]

كما أن البلاغة العربية استطاعت استمالة المتلقي والتأثير فيه من خلال الفعل واو ترك الفعل، وهذا ما تحققه الأساليب الإنشائية في علم المعاني، وارتباط " البديع " بالأبعاد العقلية الحجاجية كان رائجا في التراث البلاغي، فلم يقتصر على التزيين الظاهري، والحيلة اللفظية، إنما له الدور الكبير في صناعة المعنى

ووضوح الدلالة، وهي رؤية ذهب إليها البلاغيين القدامى منهم القز ويني حين عرف البديع: " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة. " [30] والتفات عبد القاهر الجرجاني إلى إسهام البديع في المعنى من خلال حديثه عن التجنيس والسجع في قوله : " وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بلا ، ولا تجد عنه جولا، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه، وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع في غير قصد من المتكلم إلى اقلابه، وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملائمته وان كان مطلوبا ."[31] وعليه فإن طبيعة الظواهر البلاغية في التراث البلاغي العربي، لم تخرج عما توصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة والمعاصرة، وهي الطبيعة التداولية والحجاجية.

فكيف يمكنها أن تحقق الغاية الإقناعية والتأثيرية في الحديث النبوي الشريف؟

4-آليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف:

تبليغ الناس أحكام الدين الإسلامي، والمعارف الإلهية، ونهيهم عن الفحشاء والمنكر، ودعوتهم إلى الخير، يحتاج إلى درجة عالية من الفصاحة والبلاغة والبيان، وهذه كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي لم يرتقي فوق كلامه البليغ مترلة إلا كلام الله سبحانه وتعالى. وكون وظيفة الكلام الجيد هي إيصال المعنى إلى قلب السامع في أرقى وأسمى درجة لغوية، سبيلا إلى حسن الإفهام، والتأثير، وهذه فضيلة تحتسب للبلاغة النبوية، والتي يجب أن ننظر إليها على أنها بلاغة حقيقية، تهدف إلى تمكين حقائق معينة في القلوب والنفوس، والعقول، ساعية إلى إقرار منهج حياة وتقويم سلوك الأفراد والجماعة. ومن آليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف:

4-الأليات الحجاجية البيانية:

والصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، تمثل وجها من وجوه التبليغ، والإبلاغ والإقناع مادام أن البلاغة في أبسط مفاهيمها تعني التوصيل، والإفهام، بالإضافة إلى التخييل والإمتاع ومن أمثلة ذلك في الحديث النبوي الشريف:

- **حديث بني الإسلام على خمس:**

حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا حنطلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد بن عمر رضي الله عنه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" بُنِيَ الإسْلامُ على خمسٍ، شهادة أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمدًا رسولُ الله، وإقام الصّلاة، وإيتَاء الزّكاة، وصومُ رمضانْ "[32]

ففي قوله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام" هي صورة، عبارة عن استعارة مكنية، حذف المشبه به وهو" البيت "ورمز له بشيء من لوازمه وهو "البناء"، اعتمادا على صورة المشابهة المعترضة والمتخيلة بين صورتين لشيئين، صورة الإسلام، وصورة البناء، وهذا لإثبات أهمية الإسلام في حياة المسلم، لذلك صور الرسول صلى الله عليه وسلم "الإسلام" بشيء يعلمه المتلقي وهو البناء، لتمكين هذه الحقيقة في قلبه وعقله، حيث إذا ترك ركن من أركان الإسلام، فهذا يعني ضعضعة لهذا البناء.

فهذه الاستعارة ليست معطى يمكن التحقيق منه حسا أو عقلا، وإنما هي تكوينية، يسهم المتلقي في إثباتها، بتأمل وإعمال الفكر، وما يقصده المتكلم. [33]. هذا هو البعد التداولي الحجاجي الذي توصل إليه سورل (searl)، الذي يرى بأن القول الاستعاري تتحكم فيه مقصديه المتكلم، الذي يتلفظ بطريقة تبتعد عما تعنيه الكلمة أو العبارة في الاستخدام المألوف، كما تحدده قواعد المحادثة فالصورة العامة للقول الاستعاري حين يتلفظ المتكلم بجملة في صورة(ي) هو(ب)، ولكن يريد أن يقول استعاريا أن (ي)هي(ر).[34]

كما تكمن فاعلية هذه الاستعارة الحجاجية في "**التناسب**" مع ما يقتضيه السياق لكثير من العناصر، وهذا في ارتكازها على المستعار منه، فالبناء بالنسبة "للبيت" هو مثل البناء بالنسبة "للإسلام" وللحفاظ على خصوصية هذا التناسب حسب بيرلمان ينبغي أن يؤول تبعا لمعناه الاشتقاقي، حيث يتميز عن التناسب الرياضي المحض، في كونه لا يؤكد المعادلة بين علاقتين بل يثبت مشابهة في العلاقة، ففي التناسب نثبت أن "أ" بالنسبة إلى "ب" هي مثل "ج" بالنسبة إلى "ب"أي العلاقة بين أ–ب تشبه العلاقة بين ج–ب.[35]

حيث إذا مثلت لهذه الاستعارة في السلم الحجاجي الذي اقترحه ديكرو فنجدها تحتل المرتبة الأعلى مقارنة بالقول الحقيقي كما هو ممثل.

ن : البناء

ح 2: الإسلام

ح 1: البيت

- **حديث المفلس**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال صلى الله عليه وسلم:" إن المسلم من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا،وقذف هذا ، واكل مال هذا، وسفك دم هذا فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، اخذ من خطياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار "[36]

ففي قوله صلى الله عليه وسلم "طرحت عليه" استعارة تصريحية، حيث شبه الخطايا بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة فحذف المشبه وصرح بالمشبه به "الطرح" كالذنوب تطرح عن ظهر المظلوم إلى الظالم فتزداد أثقاله ويطرح في جهنم، وهنا الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إشارة إلى البحث والتفكير للوصول إلى حقيقة المفلس الذي يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "أتدرون من المفلس" ففي أول وهلة كانت لدى المتلقي صورة عن المفلس هي من لا يملك شيئا من المال فحصروه في المادة فقط، ولكن الرسول كان يقصد المفلس هومن يضيع دينه والأعمال الصالحة، ولتبيان هذه الحقيقة شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ثقل هذه السيئات والذنوب بالحمل الثقيل الذي تحمله الدابة لتكون العلاقة بين "الطرح" والخطايا علاقة تناسبية، وكأن الطرح في ثقله هو مثل ثقل الخطايا والذنوب إلى الظالم، لتكون حجة أبلغ من الحقيقة لذلك تعلو في السلم الحجاجي الحقيقي كما هو ممثل:

ن: الثقل

ح2: الخطايا

ح1: الطرح

- **حديث الجليس الصالح:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، إما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا قبيحة)) (37)

فهذا التصوير كأنه صورة حية صادقة للجليس، حيث أن الجليس الصالح هو الذي ترتاح إليه نفسك، وتطمئن له روحك، وجليس السوء، فليس أبلغ من يشبهه أن الرسول –صلى الله عليه وسلم –بالحداد حينما ينفخ بكيره فيحرقك بناره. والتمثيل هنا ينقل المعنوي في صورة مادية محسوسة ترغيبا في الخير، وترهيبا من السوء والشر، فقد صور النبي صلى الله عليه وسلم في نفعه لجليسه ببائع المسك الذي لا يخلو التقرب منه من فائدة محققة بصورة من هذه الصور التي استقاها النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أمور:

- ✓ إما أن يحذيك أي يعطيك هدية، أو منحة.
- ✓ إما أن تبتاع منه فتتحقق الفائدة بحصولك على شيء طيب
- ✓ وإذا لم يحدث هذا أو ذاك، فأنك على الأقل سوف تجد منه ريحا طيبة.

وإذا أردنا أن نبرز القوة الحجاجية لهذا التمثيل فإن الأمر يرجع إلى قوته **الاستدلالية** الكامنة في ترابط علاقة أطرافه، إذ نجد:

(أ) – الجليس الصالح (أ)– جليس السوء

(ب)–في تحليله بالأخلاق (ب)– أخلاقه السيئة

(ج)–حامل المسك (ج)– الحداد(نافخ الكير)

(د)–في طيبته ورائحته وارتياح النفس له (د)– يحرقك بناره.

فهذين التمثيلين عبارة عن استدلال قائم بين طرفي الموضوع وطرفي الحامل.

مثال1: **مثال 2 :**

الموضوع : الجليس الصالح الموضوع : جليس السوء

الحامل : حامل المسك الحامل: نافخ الكير.

فهنا تقارب بين (الجليس الصالح) و(حامل المسك) من ناحية، وبين الأخلاق والرائحة الطيبة من ناحية أخرى، وهذا التداخل بينهما يؤدي: إلى اكتساب طرفي الموضوع قيمة إيجابية ، وبين (جليس السوء) و(نافخ الكير) وبين (سوء الأخلاق) والإحراق بالنار مما أكسب طرفي الموضوع قيمة سلبية تجعلك تتبين رفقاء السوء وهنا تكمن مزية التمثيل التي أشار إليها ابن الأثير في حديثه عن الفائدة التمثيلات قائلا: **"وأما فائدة التمثيل من الكلام فهي إنك إذا مثلت الشيء، بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أولى من طرق الترتيب أو التفسير عنه"**[38]

فالاستدلال بواسطة التمثيل، يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج للأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر .[39]

- **حديث المرأة التي جاءت الرسول صلى الله عليه وسلم:**

عن أبي عباس رضي الله عنه أن: ((امرأة من جهينة جاءت تسال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقالت: إن أمي قد نذرت على أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت، افاحج عنها؟ فقال: نعم حجي عنها، ارايت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ قالت: نعم. قال: اقضوا لله الذي له فان الله أهل بالوفاء))[40]فهذه صورة تمثيلية أخرى تكمن قوتها الحجاجية، في كونها تؤسس لنوع من القياس، لتقود المتلقي لاستنتاج القاعدة من خلال:

- **مقدمة كبرى:** النذر – الدين
- **مقدمة صغرى:** الدين واجب القضاء
- **النتيجة:** النذر واجب القضاء

4.ب الآليات الحجاجية اللغوية:

من المعلوم ان للفعل الكلامي وظائف تداولية وحجاجية، ترتبط بقصد المخاطب، والتي تزيد من فاعليته الانجازية، التي أرادها له اوستين وسيرل ، والحجاج يتصل بالفعل الكلامي عموما وبيقمتي النجاح والفشل على الأخص واللتين، قيد اوستين بروزهما بالفعل التاثيري(Acte Perlocutoire) وقد يكون هذا الأثر نفسيا او سلوكيا غايته حمل المتلقي على الاقتناع، واتخاذ موقف إزاء موضوع مطروح من محتوى قضوي، وللقضية أيضا دور مهم في الخطاب المتضمن للأفعال الكلامية [41] أمثلة ذلك في الحديث النبوي الشريف : ((**عن أبي عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر النساء، تصدقن، وأكثرن**

الاستغفار، فاني رايتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزل، ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار، قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب لذي لب منكن. قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين، قال: أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين، تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين))[42] يمكن استخراج من الحديث النبوي الشريف الأفعال الكلامية الاتية:

- ✓ النداء: في قوله صلى الله عليه وسلم:" يا معشر" ويتشكل من فعل احالي بالإشارة إلى النساء ب(يا معشر)، وفعل دلالي يتكون من القضية التي تمثل استدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم النساء لنصحهن وإرشادهن، وفعل انجازي تتشكل حمولته الدلالية ، قوة انجازيه حرفية (النداء) وقوة انجازيه مستلزمة (استحضار ذهن المتلقي لما سيأتي بعد النداء وهو (النصح والإرشاد).

فالرسول صلى الله عليه وسلم استهل حديثه الشريف بالنداء، والتوجه المباشر للنساء، وهذا لما للنداء من تأثير على المتلقي، لأنه لايؤتى لمجرد الانتباه والإصغاء فحسب وإنما يؤتى به لتنفيذ فعل انجازي، فجاء هذا الأسلوب بغية توصيل ما يراد توصيله عن طريق الاستدعاء مما يوحي بان ما سيأتي ذو أهمية خاصة يراد أن ينتبه إليها المتلقي ويتأمله جيدا وبالنتيجة يحدث التواصل .[43]

- ✓ الأمر الصريح: في قوله صلى الله عليه وسلم (تصدقن وأكثرن.) والذي يتشكل بدوره من فعل إحالي (الإشارة إلى النساء بنون النسوة)، وفعل دلالي (دعوة النساء للإكثار من التصديق والاستغفار)، وفعل انجازي يتشكل من القوة الحرفية هي (الأمر) ومن قوة مستلزمة الأمر (بوجوب شكر النعمة وذكرها لصاحبها)والنهي الغير الصريح (الكف عن اللعن وكفر العشير) والتحذير (من العاقبة وذلك ببيان سوء التي تنتظر منكر النعمة وجاحد الفضل) في الأسلوب الخبري المباشر (فاني رايتكن أكثر أهل النار ...) .

والأمر بوصفه آلية من آليات التعليم التي يهدف من خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانه يضفي بعدا آخر هو البعد الحجاجي، بوصفه أيضا قاعدة للانجاز ،كما انه ينطلق من دائرة الطلب، وللطلب غايات تأثيرية ، تحض ردود فعل المتلقي، ومن ثمة فانه يطمح ان يكون ذا تأثير في المخاطب وبالتالي انجاز فعل ما [44] و الأمر صيغة يطلب بها على وجه التكليف واللازم حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب، وطالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طلب الفعل منه 50ولكن هو انجاز ضمني يحمل معنى الدعوة ومن ثمة تبدو صلته بالحجاج **وثيقة**[45]والنهي في الحديث النبوي الشريف نابع من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مصلحة المجتمع المسلم ونصحه ، وتقديم النصيحة تتضمن بعدا حجاجيا توجيهيا وذلك لان :" **المقصود بالنصيحة يمارس سلوكا يتطلب التقويم فهي تضعه في موقع المذنب، أوالقاصر أو المنحرف** "[46] فالنهي طاقة حجاجية فاعلة، وذلك انه يتضمن انجازا لأفعال معينة تحت عنوان الترك أو الكف عن فعل ما ، وانجاز فعل مضاد له ، فهو يحمل دعوة توجيهية للمتلقي، وبالنتيجة إقناعه بهذه الدعوة [47]

4-ج الآليات الحجاجية البديعية:

وللبديع في الحديث النبوي الشريف تأثير على المتلقي بموقعه الحسن في نفسه، وبسحره الذي يقوده إلى الاقتناع كما جاء في حديثه صلى الله عليه وسلم ((**عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر ، وان البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديق ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**)) [48]

فالرسول صلى الله عليه وسلم، يدعونا على التحلي بالصدق، ونهانا عن الكذب في هذه المقابلة البديعة (عليكم بالصدق، وإياكم والكذب)، وحجاجيه هذه الاستعارة تكمن في إيراد المعاني، ثم الإتيان بما يقابلها، وذلك يسهم في توضيح المعنى، والتوضيح في التقابل يساعد على توضيح الأشياء، ومنه الاقتناع [49]

ثوب جمال المقابلة، كما تظهر حجاجيتها في المقدمات والنتائج كما هو مبين:

مقدمة1: عليكم

الحجة: الصدق

النتيجة: يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة

مقدمة 2: إياكم

الحجة: الكذب

النتيجة: يهدي إلى الفجور والنار

فالمقدمة الأولى تقابل المقدمة الثانية، وعلاقة هذه المقابلة بالنتيجة، والنتيجة المقابلة احتجاج لمن يتحلى بالصدق، واحتجاج لمن يتحلى بالكذب، وبالتالي تقوم المقابلة بوظيفتها الحجاجية وذلك بإيراد الكلام بما يقابله بشرط **الترتيب** [50]

خاتمة:

وفي الختام، وبعد هذه الدراسة نلخص إلى أن: الظواهر البلاغية في الحديث النبوي الشريف والتي تنتمي بشكل أساسي إلى دائرة الخطاب التخييلي المتسم بالغموض، والإيحاء إلا أنها قد تحمل خصائص الخطاب التداولي الحجاجي، مما يتضمنه من وضوح وحجاج وإقناع، وهذا ما نلاحظه في تحليلنا للصور البيانية والتي تمثل حجة بلاغية تجمع الإقناع والإمتاع على حد سواء، والتي تختلف كليا عن الحجة بالمعنى المنطقي ألبرهاني، وإنما هي عبارة عن مجموعة من الاستدلالات والقياسات، التي تعرض لنا الحقائق عرضا لغويا متماسكا، وكذا الآليات اللغوية(الأفعال اللغوية) تكمن طاقتها الحجاجية في قوتها الانجازية التي تؤثر هي أيضا في المتلقي مما يلائم طبيعته الفكرية، والعاطفية والمقامية، وارتباط البديع بالأبعاد العقلية الحجاجية، والتي يختص بها الحديث النبوي الشريف، الذي يمثل خطاب حقيقة لا خطاب إمتاع فقط.

الهوامش:

1–ابن منظور (ت711)، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيدي. دار إحياء التراث العـــربي (بيروت،لبنـــان)،ط1417،2ه- 1997م، م3،ص 54 مادة (حجج).

2–محمد بن أبي بكر الرازي (ت660ه)، مختار الصحاح، عني بترتيبه، محمود خاطر بك . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دط 1401ه-1981م، مادة (حجج).

3–ينظر: ناصر بن خليل الله بن فالج السعيدي، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي: دراسة وضعية، ومتطلب تكميلي لنيل شهادة الدكتوراه،في تخصص البلاغة والنقـــد. جامعة أم القرى،.كلية اللغة العربية (المملكة السعودية العربية)،ص10.

4–ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

5–ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

6–**ينظر**: جيل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. أفريقيا الشرق (المغرب)، 2014، ص27.

7–ينظر: سامية الدريدري، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنياته وأساليبه. عالم الكتب الحديث،

8–طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي. المركز العربي والدار البيضاء، (المغرب)، ص226.

9–عبد الرحمن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، لغوية. دار الكتاب الجديدة المتحدة، (بيروت)، ط1 ، 2006 ص456.

10–ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

11–ينظر: رضوان الرقبي ، البلاغة والحجاج: بحث في تداولية الخطاب، تقديم : د. إدريس مقبول. أفريقيا الشرق(المغرب) ، د ط 2018،ص 17.

12–**الحسين** بن هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان. دار الكتاب الجديدة المتحدة (بيروت)، ط 1 . 2014، ص128.

13–**ينظر**: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص277.

14– الحسين بن هاشم ، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان ،ص 8-9.

15– محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول،ص12.

16– المرجع نفسه، ص نفسها.

17– حمو الشفاري، التحاجج طبيعته ومجالاته، ووظائفه، وضوابطه،. كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط)، ط1، 2016 -1427، ص18 (بتصرف).

18– ينظر:حسن المودن : بلاغة الخطاب لإقناعي نحو تصور نسقي للبلاغة الخطابية. دار كنوز المعرفة (الأردن، عمان)، ط1، 1435ه-2014م، ص22.

19– المرجع نفسه، ص نفسها.

20– المرجع نفسه، ص نفسها –

21–حمو الشفاري، التحاجج طبيعته ومجلاته، ص 18

22–أمال يوسف مغامسي، لحجاج في الحديث النبوي الشريف: دراسة تداولية. الدار المتوسطية للنشر، ط1(1436-2016)، ص

23–المرجع نفسه، ص نفسها

24–ينظر: التحاجج، طبيعته ومجالاته، ص18.

25– أبو هلال العسكري ، الصناعيتين، تح: مفيد قمحة . دار الكتب العلمية (، لبنان –بيروت) ط2، 1989، ص10-

26–الجاحظ البيان والتبيين ، ج1 ، ص76.

27– ينظر : عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة. دار الأمان (الرباط) ط1 1434ه-2013م، ص 61-67.

28– ينظر : المرجع نفسه، ص 67.

29– ينظر : المرجع نفسه، ص 68-73.

30–**الخطيب** القزويني، التلخيص في علوم البلاغة.دار الكتب العلمية بيروت(لبنان)2009، ص 86

31–عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراه وعلق عليه، محمود محمد شاكر.دار المدني جدة، دط، ص 11

32– رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – بني الإسلام على خمس ، رقم الحديث : 10، ص 12

33–عبد العزيز لحويدق ، نظريات الاستعارة في التراث البلاغي العربي: بنية الاستبدال واستراتيجيات البيان. أفريقيا الشرق (المغرب) ،د ط 2016م ، ص175.

34–المرجع نفسه، ص209.

35–ينظر: حسين بن العالم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص128.

36–رواه مسلم، ك: البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم /46

37–رواه البخاري، باب المسك، حديث رقم 5214، ورواه مسلم " إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، إما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا منتنة"

38–رضوان الرقيبي ، البلاغة والحجاج، ص 147.

39–سامية الدريدري، الحجاج بنيته وأساليبه، ص 252.

40–رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بمن شبه أصلا معلوما بأصل متين قد يبين الله حكمه ليفهم السائل /رقم 7315

41–مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب،دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1 (الجزائر)، ص65

42–رواه مسلم، باب الايمان/855

43–عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص. دار الكتب المصرية،د ط (مصر) 2059ه–2008م،ص 151

44–المرجع نفسه، ص نفسها

45–سامية الدريدري، الحجاج في الشعر العربي القديم،ص 149

46–الحسين بن هاشم، اليات الحجاج في كشف ما هو فيالحقيقة لجاج الحجاج.عالم الفكر، العدد40/2 اكتوبر 2011،ص57

47–الحجاج في الشعر العربي القديم، اساليبه وبنيته، ص149.

48–رواه مسلم، باب استعمال الصدق /630

49–عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص299

50–المرجع نفسه، ص300